جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات إسلامية معاصرة / العدد 41 / أيلول 2024

الاساليب التركيبية في القرآن الكريم واثرها في تحقيق الذاكرة
الشرط والاستفهام مثالا

Synthetic methods in the Holy Qur'an and their impact on achieving memory
Conditional and interrogative examples

حنين فليح جريح
Haneen Flayyih Jareeh

أ.د. مسلم مالك الأسدي
Prof. Dr. Muslim Malik Al-Asadi

جامعة كربلاء/ كلية العلوم الإسلامية
University Of Karbala / College of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: اساليب، تركيب، ذاكرة، اثر، شرط، استفهام.

Keywords: methods، structure، memory، effect، condition، question.

الملخص:

تزخر اللغة العربية بالأساليب اللغوية الفخمة، والمنبثقة ضمن سياق افانينها الراقية، اساليب باجتماع بعضها مع بعضها الآخر، حققت اعجازاً اخاذاً.

وتبعا بمقتضيات الموضوع فقد ضم البحث تمهيدا ومبحثين اهتم الأول بدراسة الذاكرة.

وكان الفصل الأول مبحرا في أسلوب الشرط، اما المبحث الثاني فقد درسنا فيه اسوب الاستفهام وبين عن طريقهما الآليات التي تولدت فيها الذاكرة ومحدداتها.

اما الخاتمة فتوافرت على جملة من النتائج كانت المحاورة بالذواكر المتعددة للأسلوب الشرط قد رسمت مجموعة من الصور التي كان همها الاساس هي العبرة وحسن التصرف فكل شيء فيه أثر من مدار سابق او غيب لاحق يتصف بالايمان بصدق الأمرين وحقق الاستفهام بوساطة شبكة الاسئلة المتعددة التي قد لا تطلب اجابتها من المتلقي بل هي عبارة عن طلبات لحوادث سابقة او لاحقة يطلب عن طريقها إعادة النظر وتحكيم الفعل فيما هو كان او يكون.

Abstract:

The Arabic language abounds with luxurious linguistic styles, emerging within the context of its refined styles, styles that, when combined with each other, have achieved a breathtaking miracle. According to the requirements of the topic, the research included an introduction and two sections, the first of which was concerned with studying memory The first chapter delved into the subjunctive style, while the second section studied the interrogative style and explained through them the mechanisms by which memory is generated and its determinants. As for the conclusion, it was consistent with a number of results, which was that the dialogue with multiple memories of the conditional style had drawn a group of images whose main concern was the lesson and good behavior. Everything in it had a trace of a previous or later unseen course that was characterized by belief in the truth of the two matters and the interrogation was achieved through a network of multiple questions that may not be asked. The answer from the recipient is rather a request for previous or subsequent incidents through which he is asked to reconsider and arbitrate the action as it was or will be.

المقدمة :

حققت اللغة العربية اعجازاً اخاذاً، وملمحاً جماليا، طالما تغنى به المنشدون، والقرآن الكريم بوصفه الكتاب المنزل من لدن الرب، بلغة البشر، لغة العرب، يتضمن جملة من تلك الأساليب، ومنها الشرط، والاستفهام، وهما ما سيحاول الباحثان تتبعه في القران الكريم، في آيات بينات، تهادى في ثناياها ملامح ذاكرة سرحت بالمتلقي بعيداً،

أما نحو مظلة الماضي السحيق، أو سافرت نحو مشارف المستقبل البعيد، وكل ذلك بالبحث الموسوم (الأساليب التركيبية في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق الذاكرة الشرط والاستفهام مثالاً)

والذي جاء على مبحثين وتمهيد اختص التمهيد بالحديث عن مفهوم الذاكرة في اللغة عن طريق تتبعها في المعاجم اللغوية العربية، واصطلاحا بوساطة تتبع هذا المفهوم في حقول معرفية مختلفة، منها الموسوعات الفلسفية، والدراسات النفسية، إذ ترتبط هذه العلوم بالذاكرة كونها أداة مرتبطة بالفكر والعقل، ولما كانت الفلسفة طريقة عقلية في التفكير المعمق ارتبطت بالذاكرة ارتباطا وثيقًا، وعلم النفس غني عن تحديد صلته بدراسة الذاكرة، لأنها تقع في صلب اهتماماته.

درست الباحثة في المبحث الأول اسلوب الشرط، الذي يقتضي وجود جملتين لا تتحقق الاولى إلا بتحقق الثانية، فالعلاقة بينهما قائمة على تحقق طرف لتحقيق الأخر، وعلى الرغم من إن الموضوع مرتبط في ظاهره بالدراسات النحوية إلا إن القرآن الكريم بطريقته الخلابة في استخدام اللغة العربية استطاع تحقيق وجود فعلي للذاكرة داخل ملفوظات لغوية ذات بعد دلالي ينكشف فيه البعد الذي تتضمنه الذاكرة.

اما على مستوى الاستفهام فقد درست الباحثة أثار وتجليات وجود الذاكرة من خلال أسلوب الاستفهام بشقيه الحقيقي والمجازي معتمدة على الموروث التفسيري والبلاغي الضخم الذي يحيط بالنص القرآني ويشرح الفاظه ومقاصده.

تمهيد

الذاكرة لغة:

لا توجد كلمة (ذاكرة) كصيغة مباشرة في المعاجم العربية القديمة بل وردت اشتقاقاتها ومنها الفعل الثلاثي؛ الذي اورده الخليل في معجمهُ: (الذَكر الحفظ لشيء تذكره، وهو مني على ذكر. والذَكر: جري الشيء على لسانك، نقول جرى منه ذِكر)[1]. وذكرها ابن فارس بأنها (ذَكَرتُ الشيء، خلاف نسيته، ثم حمل عليه الذكر باللسان)[2]. وقال الجوهري: (وذكرتُ الشيء بعد النسيان، وذكرته بلساني وقلبي، وتذكرتهُ واذكرتهُ غيري وذكرته)[3].

الذاكرة اصطلاحاً: هي:(الدراسة العلمية لعمليات استقبال المعلومات وترميزها واستعادتها وقت الحاجة)[4]. كما ورد تعريف الذاكرة في الموسوعة الفلسفية على إنها: (حفظ الذات لنتائج تفاعلها مع العالم مما يمكنها من ترديد واستخدام هذه النتائج في نشاط لاحق، وتصنيفه وربطه في أنساق، وهي الكل الاجمالي للنماذج الذهنية للواقع الذي تشيده ذات معينة ويشمل تشكيل وتحديد وتسكين الروابط العصبية المؤقتة الألية الفسيولوجية لذاكرة الأنسان، وترتبط الذاكرة بالتفكير وأشكال النشاط الناشئة كنتائج لها تتم بعملية التفكير نفسها)[5]، مما تقدم فإن وظيفة الذاكرة وفقاً للتعاريف السابقة هي تخزين المعلومات وما يمر به الفرد من تجارب وما اكتسبه من خبرات متراكمة في ذهنه تمكنه من الاستفادة من هذه الخبرات في المواقف المشابهة التي قد يتعرض إليها.

ويتضح من ذلك إن الذاكرة حظيت بكثير من الاهتمام والدراسة، وهذا يعني أن هناك مفاهيم متعددة للمرجعيات المتبادلة لهذا المجال اللغوي، ومن ثم يكتسب مفهوم الذاكرة صياغة مختلفة تبعاً للأسس النظرية التي تعتمدها تلك المراجع، وإذا أردنا معرفة الأصل والجذر التي ينحدر منه مصطلح الذاكرة، فهو أصل نفسي وفلسفي يعود بدلالات ثقافية واجتماعية تختص بالتكوين العقلي للإنسان، الذي يتمثل في ذاكرته وما تخزنه من صور ومعلومات، يلجأ إليها من أجل استعادة شيء ما على نحو شعوري أو لا شعوري، وقد انبثقت الذاكرة من هذه الحقول والدراسات كونها مسؤولة عن فهم شخصية الإنسان وانشطته وتحديد هويته.

المبحث الأول/ الشرط:

الشرط: وهو معنى متداول معروف، والجمع منه شروط وذكر الصغاني (وفي المثل: الشرط أملك عليك أم لك، يضرب في حفظ الشرط يجرى بين الإخوان (...) وقد شرط عليه كذا يشرط ويشرط. وشرطا النهر: شطاه. وشرط الحاجم يشرط ويشرط: إذا بزغ. والشرط؟ بالتحريك –: العلامة. وأشراط الساعة: علاماتها، قال الله تعالى: (فقد جاء أشراطها) أي علاماتها. والشرط – أيضا –: رذال المال كالدبر والهزيل وقال أبو عبيد: أشراط المال: صغار الغنم وشرارها[6] وذكر ابن فارس (الشين والراء والطاء أصل يدل على علم وعلامة، وما قارب ذلك من علم. من ذلك، الشرط: العلامة. وأشراط الساعة: علاماتها. ومن ذلك الحديث حين ذكر أشراط الساعة، وهي علاماتها. وسمي الشرط لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها. ويقولون: أشرط فلان نفسه للهلكة، إذا جعلها علما للهلاك. ويقال: أشرط من إبله وغنمه، إذا أعد منها شيئا للبيع (...) ومن الباب شرط الحاجم، وهو معلوم; لأن ذلك علامة وأثر. ويقال: إن أشراط الساعة أوائلها. ومن الباب: الشريط، وهو خيط يربق به البهم. وإنما سمي بذلك لأنها إذا ربطت به صار لذلك أثر. ومن الباب: الشرط، وهو المسيل الصغير يجيء من قدر عشر أذرع، وسمي بذلك لأنه أثر في الأرض كشرط الحاجم. ومن الباب الشرطان: نجمان يقال إنهما قرنا الحمل، وهما معلمان مشتهران. ويقال: جمل شرواط، أي ضخم. وإنما سمي شرواطا لأنه إذا كان مع إبل تبين كأنه علم[7]

الشرط اصطلاحا:

الشرط (هو ما يقتضي وجوده وجود المشروط، ولا يقتضي عدمه عدمه[8]. وهو أيضا (تعليق شيء بشيء، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني. وقال الراغب: كل حكم متعلق بأمر يقع لوقوعه، وذلك الأمر كالعلامة[9]. والشرط عند النحاة: (هو ترتيب وقوع أمر على وقوع أمر آخر بوساطة أداة ملفوظة؛[10]. والشرط اللغوي: (ما يلزم من وجوده وجود المشروط، ولا يلزم من انتفائه انتفاؤه الجواز وقوعه بسبب آخر)[11]. وللشرط جملة من الأدوات تقسم على قسمين: **ادوات شرط جازمة:** تقسم أدوات الشرط الجازمة على حروف وأسماء، فالحروف هي: (إن، وإذما) وبقيتها اسماء وهي: (من، ومَا، أيان، ومتى، وأنى، وأين، حيثما، كيفما، وأي). و **أدوات الشرط الغير جازمة:** هي (إذا، لو، لولا، لوما، لما، كلما).

عند تتبع الموارد التي يرد فيها الشرط [متضمنا ذاكرة متشحة بعلامة سيميائية] قوله تعالى {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ} (الروم 33) فالذاكرة تتوارد في النص في موضعين احداهما ذاكرة لمسية (مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ) والأخرى ذوقية (أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً) وتجمعهما أداة الشرط (إذا) والمقصود إنهم لا يؤمنون إلا لوقت محدد فإذا اصابهم أي عارض يرجعون الى سابق عهدهم و إذا مس هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ضر، فأصابتهم شدة و جدوب و قحوط دَعَوْا رَبَّهُمْ وأخلصوا لربهم التوحيد، و أفردوه بالدعاء و التضرع إليه، و استغاثوا به منيبين إليه، تائبين إليه من شركهم و كفرهم ثُمَّ إذا أَذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً يقول: ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضر و فرجه عنهم و أصابهم برخاء و خصب و سعة، كفروا به،كفروا بما أعطيناهم،[12] ((و مَسَ النَّاسَ تقوية لإرادة العموم إشارة إلى كل من فيه أهلية النوس و هو التحرك، من الحيوانات العجم و الجمادات لو نطقت ثم اضطربت لتوجهت إليه سبحانه و لم تعدل عنه كما أنها الآن كذلك بألسنة أحوالها، فهذا هو الإجماع الذي لا يتصور معه نزاع ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ أي الذي لم يشاركه في الإحسان إليهم أحد في جميع مدة مسهم بذلك الضر – بما أشار إليه الظرف حال كونهم مُنِيبِينَ أي راجعين من جميع ضلالاتهم التي فرقتهم عنه إِلَيْهِ علما منهم بأنه لا فرج لهم عند شيء غيره، هذا ديدن الكل لا يخرم عنه أحد منهم في وقت من الأوقات، و لا في أزمة من الأزمات.. و هذا دليل على أن معرفة الرب في فطرة كل إنسان، وأنهم إن غفلوا في السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه في حال الضراء.و لما كان كل واقع في شدة مستبعدا كل استبعاد الخلاص منها قال: ثُمَ بأداة العبد إذا أَذاقَهُمْ مسندا الرحمة إليه تعظيما للأدب و إن كان الكل منه. ولما كان السياق كله للتوحيد، فكانت العناية باستحضار المعبود باسمه و ضميره أتم قال: مِنْهُ مقدما ضميره دالا بتقديم الجار على الاختصاص و أن ذلك لا يقدر عليه غيره، ورَحْمَةً أي خلاصا من ذلك الضر، إشارة إلى أنه لو أخذهم بذنوبهم أهلكهم، فلا سبب لإنعامه سوى كرمه))[13]

فمفردتا الضر والرحمة على سبيل المجاز فالضر بأشكاله كافة وبمختلف معانية فمرة يكون في البدن اي مجسما كالمرض أو العارض او ماسواهما. وأخرى يكون في الروح وهو الضرر المعنوي اي ما لا تجسيد له. وولدته الذاكرة في النص لانه ما يشاع امام الملا في كل حين وزمان. والقصة حقيقة دائرة لا لبس فيها فما يرغب الانسان بالعبادة الا بعد أن يرى صور الالم.ويتركها حينما يجنح به الزمان للراحة والدعة. والانسان في حقيقة امرة مجبول على معرفة الله جل وعلا وانه الواهب والمعطي والمسيطر ودليل معرفته بذلك أنه كما ذكرت الاية المباركة يطلب عفوه وعطفه بعد أن تضطره الحاجة لذلك الامر.

وورد في قوله تعالى {إِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (الجمعة 11) تتماهى الذاكرة في النص وهي محضر الإشارة إلى وقائع دائرة في زمن الرسول الاكرم محمد)صلى الله عليه واله وسلم(وهي في محل ذكر الشعيرة الأولى في الإسلام وهي الصلاة فالاية المباركة (عطف على جملة إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله [الجمعة: 9] الآية. عطف

التوبيخ على ترك المأمور به بعد ذكر الأمر وسلكت في المعطوفة طريقة الالتفات لخطاب النبيء صلى الله عليه وسلم إيذانا بأنهم أحرار أن يصرف للخطاب عنهم فحرموا من عز الحضور. وأخبر عنهم بحال الغائبين، وفيه تعريض بالتوبيخ)[14]. ثم بين في معنى الشرط الوارد فيها (وإذا ظرف للزمان الماضي مجرد عن معنى الشرط لأن هذا الانفضاض مضى. وليس المراد أنهم سيعودون إليه بعد ما نزل هذا التوبيخ وما قبله من الأمر والتحريض)[15]، فالنص فيه معاتبة وانتقاص ممن أهملوا تذكرة الاخرة في سبيل تذكرة الدنيا ولم يرعوا ولم يخجلوا من وجود الرسول فها هم ينتفضون عن الصلاة لتحقيق مآربهم ويلتحقون بركب الطالب من مقدرات تجارة قد وصلت في ميقات اقامتهم للعبادة. ((و إفراد التجارة بردّ الكناية، لأنّها المقصودة، فإنّ المراد من اللهو والطبل الّذي كانوا يستقبلون به العير، ولهذا قدّمها عليه. و قيل: تقديره: إذا رأوا تجارة انفضّوا إليها، و إذا رأوا لهوا انفضّوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه. و الترديد للدلالة على أنّ منهم من انفضّ لمجرّد سماع الطبل ورؤيته. أو للدلالة على أنّ الانفضاض إلى التجارة مع الحاجة إليها و الانتفاع بها إذا كان مذموما، كان الانفضاض إلى اللهو أولى بذلك.وَ تَرَكُوكَ قائِماً أي: على المنبر، أو في الصلاة))[16] فالذاكرة السمعية التي وردت عن طريق الروايات التي تذكر أنهم امام حركة مثيرة تتحقق مع الاستماع الى صوت الاشارة للوصول للتجارة أو الروية وذاكرتها في مشارف القوم تجتمع للأفول والتفرق عن رؤية وسماع ما تجود به حنجرة النبي الاكرم ووجه المبارك فيتركوه طلبا للدنيا ولا يرجعون بعد تفرقهم طلبا لفتات الدنيا وزخرفها.

ومنها أيضا ما يرد في قوله تعالى على سبيل التشخيص متضمنا ذاكرة ذوقية ممزوجة بالشرط ((﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾)) (الروم 36) (وإذا أذقنا الناس رحمة أى نعمة من مطر أو سعة أو صحة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة أى بلاء من جدب أو ضيق أو مرض– والسبب فيها شؤم معاصيهم– قنطوا من الرحمة)[17]. أي إنه اشترط الرحمة للفرح فيما يقنطون في حال تأخر النعم أو نزول البلاءات. وعبر عن الإصابة بالإذاقة للإيماء إلى التذاذهم بالرحمة و عناية بالقلة فإن الذوق يستعمل في القليل من التغذي «رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ» و التعبير بالرحمة في موضع السراء للإشارة إلى أنها من الرحمة الإلهية من غير أن يستوجبوا ذلك فكان من الواجب عليهم أن يقوموا بحقه، و يخضعوا لما تدعو إليه الآية وهو توحيد ربهم و شكر نعمته[18]

وقيل المراد بالناس هنا المشركون خاصة، و ليس هذا القول ببعيد عن قرينة السياق، فإن الآيات السابقة تحدثت عن المشركين، و لكن هذا لا يمنع من أن يكون التهديد عاما يشمل كل من جحد أنعم الله، سواء أ كان الجحود من المؤمن أم الكافر، قبل الضراء أم بعدها[19] فالرحمة التي جاءت جامعة لمختلف الهبات وما كرم به الانسان من خيرات تتمحور حولها الذاكرة فتكون دورة الحياة هي المرتع والبؤرة التي تنطلق منها الآية المباركة فما بعد الضر الاليسر والعكس أيضا فالحياة تسير كما رسمت من لدن عزيز مقتدر. وما يمر على صحيفة العبد وعلى صفحة حياته هو ميدان لذاكرة جمعية تختزن في ذاكرة الانسان وتتموقع في وجدانه.

وترد الذاكرة السمعية ممزوجة مع الشرط في قوله تعالى {وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} (طه الآية 7) فقوله (وأخفى) بناء للمبالغة، وعلى هذا القول نقول إنه تعالى قسم الأشياء على ثلاثة أقسام: الجهر، والسر. والأخفى. فيحتمل أن يكون المراد من الجهر القول الذي يجهر به، وقد يسر في النفس وإن ظهر البعض، وقد يسر ولا يظهر على ما قال بعضهم. ويحتمل أن يكون المراد بالسر وبالأخفى ما ليس بقول وهذا أظهر فكأنه تعالى بين أنه يعلم السر الذي لا يسمع وما هو أخفى منه فكيف لا يعلم الجهر، والمقصود منه زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة، والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والأخفى على ما فيه ثواب أو عقاب، والسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها، والأخفى هو الذي لم يبلغ حد العزيمة، ويحتمل أن يفسر الأخفى بما عزم عليه وما وقع في وهمه الذي لم يعزم عليه، ويتحمل ما لم يقع في سره بعد فيكون أخفى من السر، ويحتمل أيضا ما سيكون من قبل الله تعالى من الأمور التي لم تظهر، وإن كان الأقرب ما قدمناه مما يدخل تحت الزجر والترغيب[20].

ويحتمل أن يكون المراد بالسر وبالأخفى ما ليس بقول و هذا أظهر فكأنه تعالى بين أنه يعلم السر الذي لا يسمع وما هو أخفى منه فكيف لا يعلم الجهر، و المقصود منه زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة، والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والأخفى على ما فيه ثواب أو عقاب، و السر هو الذي يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها، والأخفى هو الذي لم يبلغ حد العزيمة، و يحتمل أن يفسر الأخفى بما عزم عليه و ما وقع في و همه الذي لم يعزم عليه، ويتحمل ما لم يقع في سره بعد فيكون أخفى من السر، و يحتمل أيضا ما سيكون من قبل الله تعالى من الأمور التي لم تظهر، وإن كان الأقرب ما قدمناه مما يدخل تحت الزجر والترغيب. القول الثاني: أن أخفى فعل يعني أنه يعلم أسرار العباد وأخفى عنهم ما يعلمه و هو كقوله: يَعْلَمُ ما بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ وَ لا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ [البقرة: 255] فإن قيل كيف يطابق الجزاء الشرط؟ قلنا معناه إن تجهر بذكر الله تعالى من دعاء أو غيره، فاعلم أنه غني عن جهرك، وإما أن يكون نهيا عن الجهر كقوله: وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ [الأعراف: 205] وإما تعليما للعباد أن الجهر ليس لاستماع الله تعالى، وإنما هو لغرض آخر، و اعلم أن الله تعالى لذاته عالم وأنه عالم بكل المعلومات في كل الأوقات بعلم واحد وذلك العلم غير متغير، و ذلك العلم من لوازم ذاته من غير أن يكون موصوفا بالحدوث أو الإمكان[21] فالامر فيه مدلولات اخلاقية ولدتها الذاكرة المتحصلة مع الشرط التي تواشبت معه فكانت القدرة على معرفة دواخل النفس. والجلبة الاخلاقية فيه وعدم ازعاج الناس بالصوت ولوازمه. فضلا عن الترهيب في وضع الدسائس وما يرافقها من أحداث وفتن. كما انها تتواشج مع مكروهات المحادثة فإذا ما شوهد أحدهم وهو في صدد الكلام الخافت فان كلامه سيجلب النمينة وسوء الظن وكلها من الموبقات التي منع الله عباده عنها. وكلها مترافقة مع ذاكرة القوم وما يحدث نصب اعينهم.

وترد الذاكرة اللمسية وهي في صدد ذكر العذاب الواقع يوم المعاد وكيفية حدوثة وطريقة حدوثة وكل ذلك متوافقا مع ورود أسلوب الشرط ويرد ذلك بقوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا} (النساء:56) وذكر القرطبي (قد تقدم معنى الإصلاء أول السورة. وقرأ حميد بن قيس (نصليهم) بفتح النون أي نشوئهم. يقال: شاة مصلية.
ونصب (نارا) على هذه القراءة بنزع الخافض تقديره بنار. (كلما نضجت جلودهم) يقال: نضج الشيء نضجا ونضجا، وفلان نضيج الرأي محكمه. والمعنى في الآية: تبدل الجلود جلودا أخر. فإن قال من يطعن في القرآن من الزنادقة: كيف جاز أن يعذب جلدا لم يعصه؟ قيل له: ليس الجلد بمعذب ولا معاقب، وإنما الألم واقع على النفوس، لأنها هي التي تحس وتعرف فتبديل الجلود زيادة في عذاب النفوس. يدل عليه قوله تعالى: (ليذوقوا العذاب) وقوله تعالى: (كلما خبت زدناهم سعيرا). فالمقصود تعذيب الأبدان وإيلام الأرواح. ولو أراد الجلود لقال: ليذقن العذاب[22] فالشرط حاصل بنضج الجلود أولا، فلما تنضج تبدل.

فالذاكرة اللمسية وما تحققه في النص من إشارات فهي تستقر في اعتاب النص فاذا كان النضج للجلود على حقيقتها فهي في مدار الحقيقة والتعامل مع الشيء الملموس فاول ما يحرق ويعذب في النار هو الجلد. واذا كانت على مدار المجاز وان الجلد مقصودة النفس ومداخلها وما يسلط من عذاب فهو واقع عليها. والشرط مع توهج وروده وامتزاجه بالذاكرة رسم خط العقاب الرباني لكل عاص او معتد آثم.

المبحث الثاني/ الاستفهام:

الاستفهام في اللغة هو (طلب الفهم، "واصطلاحًا": طلب العلم بشيء بواسطة أداة من أدواته، وهي إحدى عشرة)[23] أداة، ويعد الاستفهام من أساليب البلاغة في اللغة العربية، وهو أنشاء طلبي يطلب به القيام بشيء مجهول لدى السائل، وهذا الطلب يأتي لأمرين هامين إما للتصديق أو للتصور، فطلب التصديق؛ هو حكم على الماهية، ويجاب عنه ب "نعم" أو "لا" نحو: هل أنت مؤمن؟ أو (هل احمد مؤمن؟) أو بالهمزة نحو قولك: (أزيد قائم).

وطلب التصور يقع على طرف واحد من الجملة، الذي هو معرفة ماهية المسئول عنه، ويجاب عنه أيضاً ب "نعم" إيجاباً أو "لا" سلباً، نحو: (أقائم زيد أم عمرو؟). إذن الاستفهام هو (طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل وذلك بأداة من احدى ادواته)[24].

وللاستفهام ادوات كثيرة ذكرت في كتب النحو والبلاغة، حيث اشتمل على حرفين وهما: "الهمزة وهل" وأحد عشر أسماً وهي: "كيف، ماذا، ما، متى، أي، كم، من ذا، من، أين، أنى، إيان" وتستعمل هذه الأدوات كلها بأشكال مختلفة مع الأفعال والأسماء والحروف فيطلب بها التصور والتصديق أو التعيين مع الهمزة أو مع أم، وقد يخرج

اسلوب الاستفهام الى عدة اغراض مجازية منها التوبيخ، الإنكار، النفي، التعظيم، التعجب، التحقير، التمني، الأمر.

وقد نجد أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم في آيات متعددة محملة بالذاكرة بأنواعها المختلفة من ذلك قوله قوله تعالى {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (البقرة: 259) فالاية المباركة في صدد الحديث الذي دار في خلد (عزير) بعد أن رأى القرية الخاوية التي دمرت فأصبحت فارغة من مظاهر الحياة فتساءل متعجبا عن مقدار القدرة المتطلبة لإعادة احيائها أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها فأماته، ثم أراه نظير ما استنكر من إحياء القرية التي مر بها بعد مماتها عيانا من نفسه وطعامه وحماره، فحمل تعالى ذكره ما أراه من إحيائه نفسه وحماره مثلا لما استنكر من إحيائه أهل القرية التي مر بها خاويه على عروشها، وحمل ما أراه من العبرة في طعامه و شرابه عبرة له و حجة عليه في كيفية إحيائه منازل القرية وجنانها، وكل ذلك ماثل امام عينيه (وَ انْظُرْ إِلَى الْعِظامِ) و انظر إلى العظام التي تراها ببصرك كيف ننشزها، ثم نكسوها لحما، وقد كان حماره أدركه من البلى في قول أهل التأويل جميعا نظير الذي لحق عظام من خوطب بهذا الخطاب، فلم يمكن صرف معنى قوله: وَانْظُرْ إِلَى الْعِظامِ إلى أنه أمر له بالنظر إلى عظام الحمار دون عظام المأمور بالنظر إليها، ولا إلى أنه أمر له بالنطر إلى عظام نفسه دون عظام الحمار. و إذا كان ذلك كذلك، و كان البلى قد لحق عظامه وعظام حماره، كان الأَولى بالتأويل أن يكون الأَمر بالنظر إلى كل ما أدركه طرفه مما قد كان البلى لحقه لأَن الله تعالى ذكره جعل جميع ذلك عليه حجة وله عبرة وعظة... و إنما عنى بقوله: وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً و لنجعلك حجة على من جهل قدرتي، وشك في عظمتي، وأنا القادر على فعل ما أشاء من إماتة وإحياء، و إنشاء، وإنعام و إذلال، و إقتار وإغناء، بيدي ذلك كله، لا يملكه أحد دوني، ولا يقدر عليه غيري.[25] فالذاكرة وفق دواعي الاستفهام قد رسمت تصورا كاملا وحجة لا تدحض أمام ناظري عزير مع توالي الاستفهامات فيها حتى يكون الاخير متأهبا للجواب واي جواب والصورة ترسم امامه والآية الربانية وجواب لسؤاله قد تأخر مئة سنة يتحقق أمامه والبعث والنشور يطبق امام ناظريه ليكون للناس آية وليكون هو الجواب لكل من هو في مدار الشك وعدم اليقين بهذا المآل في صيرورة الامر يومئذ لله رب العالمين صاحب القدرة والمتمكن في تحقيق الامور والواهب لكل الخيرات لعباده جميعا.

وترد الذاكرة أيضا في قوله تعالى {وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} (الأعراف: 48) فالذاكرة تذهب مستقبلا لتحيل الى ما سوف يحدث عند حشر القوم إلى الحساب فينادي أصحاب الأعراف ثم ينادي أصحاب الأعراف وهم الأنبياء والخلفاء أهل النار مقرعين لهم ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَ ما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَ هؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ يعني أ هؤلاء المستضعفين الذين كنتم تحقرونهم

تستطيلون بدنياكم عليهم ثم يقولون لهؤلاء المستضعفين عن أمر من الله لهم بذلك ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ فهؤلاء الرجال الذين هم على الأعراف يعرفون جميع الخلق بسيماهم يعرفون أهل الجنة بسيماء المطيعين و أهل النار بسيماء العصاة[26] ويعرفون ((رجالا من رؤوس الكفرة يقولون لهم أَهؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ إشارة لهم إلى أهل الجنة، الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا، وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة ادْخُلُوا الْجَنَّةَ يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون))[27]، فالاستفهام هو بؤرة النص وهو ميدان الذاكرة الفاصلة بين اقوال اهل الايمان وأهل الشرك واجتماعه مع الذاكرة في الآية المباركة قدم للنص ما جعله شاملا حازما في دلالة الحساب واثره في نفوس الخلق فهم أمام لوحة ربانية قسمت فيها الخلق وأصبحوا قبل أن يساقوا لبيان حقيقة مثواهم الأخير وخلودهم اما في جنات الخلد او في جحيم مقيم يرتسم المشهد امامهم في حساب حق يقسم فيه الخلق بين كافر منافق وبين مؤمن قد صدق بالله وبتعاليمه كلها فأصبح شاهدا على الخلق متكلما وموبخا لهم على ما اقترفته أيديهم من ظلال واذى.

ومنها أيضا ما يرد في قوله تعالى في ذاكرة متحققة بعد حين: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ} (الاعراف 53) (أي يقول الذين نسوه من قبل يوم يأتي تأويله. (قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء) استفهام فيه معنى التمني فهؤلاء القوم قد بين تعالى أنهم (نسوا يوم القيامة يقولون: قد جاءت رسل ربنا بالحق والمراد أنهم أقروا بأن الذي جاءت به الرسل من ثبوت الحشر والنشر والبعث والقيامة، والثواب، والعقاب، كل ذلك كان حقا، وإنما أقروا بحقيقة هذه الأشياء لأنهم شاهدوها وعاينوها وبين الله تعالى أنهم لما رأوا أنفسهم في العذاب قالوا: فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل والمعنى أنه لا طريق لنا إلى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الشديد إلا أحد هذين الأمرين وهو ان يشفع لنا شفيع فلأجل تلك الشفاعة يزول هذا العذاب أو يردنا الله تعالى إلى الدنيا حتى نعمل غير ما كنا نعمل يعني نوحد الله تعالى بدلا عن الكفر ونطيعه بدلا عن المعصية)[28] فالاستفهام كان مقدرا بين التمني والرجاء في العودة للحياة مرة أخرى عسى أن يحقق الخلق مبتغاهم ويعملوا صالحا. ولكن هيهات فالأمر قد كتب والحساب قد وقع والحياة قد أعطت ما فيها وتبخر عطرها وأصبح الانسان أمام أمر واقع لا محالة فكل شيء قد زال والخلود هو المآل أما أن يكون الذهاب الى خلد النار او إلى جنة مقدار عرضها سبعون الف عام.

وورد الاستفهام وهو في صدد الرجوع بالذاكرة الي الخليقة الأولى وأول أربعة على بقاع المعمورة من جنس البشر في قوله تعالى { فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} (31) (المائدة 31) خرج الاستفهام للتعبير عن الندم إن قابيل (رأى إكرام الله لهابيل بأن قيض له الغراب حتى

واراه، ولم يكن ذلك ندم توبة، وقيل: إنما ندمه كان على فقده لا على قتله، وإن كان فلم يكن موفيا شروطه. أو ندم ولم يستمر ندمه، فقال ابن عباس: ولو كانت ندامته على قتله لكانت الندامة توبة منه)[29] فكلمة يا وَيْلَتى كلمة تحسر وتلهف، وفي الآية احتمالان: الأول: أنه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول، فلما تعلم ذلك من الغراب علم أن الغراب أكثر علما منه و علم أنه إنما أقدم على قتل أخيه بسبب جهله و قلة معرفته، فندم و تلهف وتحسر على فعله. الثاني: أنه كان عالما منه بكيفية دفنه، فإنه يبعد في الإنسان أن لا يهتدي إلى هذا القدر من العمل، إلا أنه لما قتله تركه بالعراء استخفافا به، ولما رأى الغراب يدفن الغراب الآخر رق قلبه و قال: إن هذا الغراب لما قتل ذلك الآخر فبعد أن قتله أخفاه تحت الأرض، أ فأكون أقل شفقة من هذا الغراب، و قيل: إن هذا الغراب جاء و كان يحثي التراب على المقتول، فلما رأى أن الله أكرمه حال حياته بقبول قربانه. وأكرمه بعد مماته بأن بعث هذا الغراب ليدفنه تحت الأرض علم أنه عظيم الدرجة عند الله فتلهف على فعله، و علم أنه لا قدرة له على التقرب إلى أخيه إلا بأن يدفنه في الأرض، فلا جرم قال: يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب[30]. فشخوص القصة الثلاث القتيل والقاتل والغراب قد وضعوا اللبنة الأولى لاحد أسس التكريم للإنسان وهي ارجاعه الى مكان أصل خلقه. فالقصة بشخوصها رسمت بكيفية ربانية اعادتها الذاكرة القرآنية لتصور أصل وبداية الشر المطلق الذي زرع في أرض الرب ففي عمل قابيل قد قتل ربع من كان على الأرض. ومع ندمه الذي كان سببه كما قيل حمله على ظهرة لمدة عام وعدم هدايته إلى طريقة الدفن متأخرا بعد أن وجد احد مخلوقات الله الحقيرة بحجمها والمشؤمة بطبعها ولونها الدال على الحداد في كل مآلاته تقدم لقابيل تعازيها في أخيه وترشده إلى الفعل الصحيح في العمل ارتسمت مباني الندم على كل ما تقدم وعلى ما نمى في خلد من تكبر طار سراعا مع الوقت فبعد أن هدأت ثائرته نراه يتكلم متعجبا متسائلا (أعجزت) فكانت الكلمة التي رسمت مساره اللاحق في اصلاح بعض الخطأ الذي اقترفه وهو دفن أخيه لا تركه في العراء مكشوفا لوحوش الفلا وضواريه.

وفي قوله تعالى {وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ} (الأنعام30) وذكر أهل التفسير (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم، أي: على حكمه وقضائه ومسألته، وقيل: عرضوا على ربهم، قال لهم، وقيل: تقول لهم الخزنة بأمر الله، أليس هذا بالحق؟ يعني: أليس هذا البعث والعذاب بالحق؟ قالوا بلى وربنا إنه حق، قال ابن عباس: هذا في موقف، وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين في موقف آخر، والقيامة مواقف، ففي موقف يقرون، وفي موقف ينكرون، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)[31]. اي إن الاستفهام في هذا الموضع خرج لتذكير هؤلاء ببطلان دعواهم وتأكيد معرفتهم بأن هذا الأمر من الدعوة هو الحق. فهؤلاء بعد أن عرفوا إن ما وعدهم ربهم من العذاب الذي يفعله بالكفار في الآخرة و الثواب الذي يفعله بالمؤمنين، و عرفوا صحة ما كان أخبرهم به من الحشر والحساب. و قال لهم ربهم عند مشاهدتهم ووقوفهم عليه «أَ لَيْسَ هذا بِالْحَقِّ؟ قالُوا بَلى وَ رَبِّنا» مقرين بذلك مذعنين له وان كانوا قبل ذلك في الدنيا ينكرونه، قال حينئذ «فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ» بذلك[32]. فالذاكرة المستقبلية في النصوص القرآنية تتحقق ضمن مدار الاستفهام فبعد الإجابة التي تكون على سبيل التقرير بصحة ما قيل لهم واجابتهم الحقيقية على أن ما كانوا

يحذرون منه من طائلة العذاب قد حصلت وإن العذاب مشرع امامهم وابواب النار قد فتحت وهي بأتونها تتلظى. اجابوا بصدق وندم ولات ساعة مندم فالذاكرة تتوارد في النص في موضعين الاولى ذاكرة قديمة تحققت في عقولهم مستقبلا بعد أن رأوا حقيقة العذاب وذاكرة ما سيشاهدوه امام اعينهم من أذى وعذاب يكاد يتلقفهم نكالا بما عملوه قديما من موبقات وأذى وخروج عن الطريقة السمحاء.

وفي قوله تعالى: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا} (مريم 29) تنطلق الذاكرة في الحديث عن اللقاء المقترب بين مريم (عليها السلام) وقومها وكيف رجوعها وهي حاملة للولد على حجرها دون زواج فدخلت في خلدهم ركب الخيانة (أنهم لما بالغوا في توبيخها سكتت وأشارت إليه أي إلى عيسى عليه السلام أي هو الذي يجيبكم إذا ناطقتموه)[33]، فهي فى الظاهر أشارت إلى الولد، و فى الباطن أشارت إلى الله، فأخذهم ما قرب و ما بعد و قالوا: كيف نكلّم من هو أهل بأن ينوّم فى المهد ف «كانَ» هاهنا فى اللفظ صلة.. و حملوا ذلك منها على الاستهانة بفعلتها... لما قالوا ذلك أنطق الله عيسى حتى قال: إنى عبد الله، فظهرت براءة ساحتها بكلام عيسى قبل أن يتكلم مثله. وجرى على لسانه حتى قال: إنى عبد الله؛ ليقال للنصارى إن صدق عيسى أنه عبد الله بطل قولكم إنه ثالث ثلاثة، وإن كذب فالذى يكذب لا يكون ابنا لله، وإنما يكون عبدا لله، و إذا لم يكن عبد هواه، و لا فى أسر شىء سواه فمن تحرر من غيره فهو فى الحقيقة عبده. و«آتانِيَ الْكِتابَ»: أي سيؤتينى الكتاب أو آتاني فى سابق حكمه.«وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا» بفضله. و فى الآية ردّ على من يقول إن النبوة تستحقّ بكثرة الطاعة لأنه قال ذلك فى حال ولادته؛ و لم تكن منه بعد عبادة و أخبر أن الله جعله نبيا[34].

وأما سبب عدول مريم عليها السلام إلى الإشارة فلأنها لا تكون إلا بقصد المشير بذلك أنه يشير، لا من جهة المشار إليه، و الإشارة إيماء، تبلغ ما لا يبلغ الصوت، لأن البعد الذي فيه، كون الأغيار حاضرين، فأشارت إليه متكلة عليه، فبرأتها شهادته مما قيل، و تلي ذلك في كل جيل، في قرآن و زبور و توراة و إنجيل و حكم بأن النبوة بالجعل لئلا يتخيل أن ذلك بالذات، بل هو اختصاص إلهي[35].

ففي النص ذاكرتان اجتمعتا معا وحققتى المبتغى المراد منهما فبدأت بالذاكرة البصرية معتمدة على الاشارة إلى نبي الله هو من سيقوم بالأجابة عن كل ما لديهم من اسئلة. والثانية الذاكرة السمعية التي ظهرت واخرجت القوم من سباتهم ومن غلوائهم فما ان نطق عيسى (عليه السلام) وخالف المتوقع والممكن حتى بهت القوم وانتفت لديهم كل المسبقات وذهبت اراجيفهم وما رسموه لمريم وصغيرها من مستقبل مخيف فكانت اول بوادر انتصارها على حفنة من المتحكمين بمقادير الناس. وكانت معجزة ماثلة أمامهم جمعت في مضانها كثيرا من الاجابات المرئية والمسموعة وكان اللقاء أمام اعين الكل فأصبح عيسى عليه السلام بحكم الامر هو المرسل الجديد لبني إسرائيل وهو القيم القادم للدين الالهي والمرسل المكمل لرسالة موسى والمبشر برسالة محمد صلى الله عليه واله وسلم.

وترد الذاكرة البصرية أيضا وهي ترتسم حول بؤرة الاستفهام في قوله تعالى {قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ} (البقرة 69) فهم بدؤا بالسؤال لتحقيق مطلب الرسول ولم

أساس سؤالهم كان هو المماطلة (ومع ذلك لم يرتدعوا عن السؤال عن لونها، قال إنه يقول إنها بقرة صفراء)[36] فالاستفهام يمكن أن يكون غرضه التعجب وطلب الاستدلال، ونفى عنها الاستهزاء لعدم حصول العقوبة[37] ويمكن أن يكون الغاية منه هي التقرير لا غير فالموطن هو موطن واقعي وفيه جريمة قد ارتكبت وقوم يطالبون بالثآر للقتيل فالامر كان بحاجة الى إعمال الفكر وعدم النزوع الى أي أمر قد يسبب فتنة للقوم وحاشا رسول الله أن يعمل ذلك. فاضطر نبي الله الى أن يفصل في كل أمر فأوضح ما هي وما لونها وهم مع ذلك لم يرضوا به، وأعادوا كلامهم الأول، من غير تحجب وانقباض. فأجابهم ثانيا بتوضيح في ماهيتها و ولونها فلما تم عليهم البيان ولم يجدوا ما يسألونه قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِ قول من يعترف بالحقيقة بالإلزام و الحجة من غير أن يجد إلى الرد سبيلا، فيعترف بالحق اضطرارا، و يعتذر عن المبادرة إلى الإنكار بأن القول لم يكن مبينا من قبل، ولا بينا تاما. والدليل على ذلك قوله تعالى: فَذَبَحُوها وَ ما كادُوا يَفْعَلُونَ.[38] فكانت المحاورة بالذواكر المتعددة قد اسهمت في نهاية الامر في رسم مجموعة من الصور فذاكرة القصة بينت ما جبل عليه هؤلاء القوم من تعنت وشدة. وعدم التصديق بالكلام الاول للرسول. والامر الاخر أن الله قد وجد لهم الحلول من محيطهم المجتمعي ولكنهم يتطلبون الاصعب فصعب الله عليهم كل شيء معيشتهم وحلول احكامهم وتركهم في الارض دون ان يجتمع لهم قرار او موطن فضلا عن أن أمرهم قد انزاح الى البقرة في هذا الموضع اشارة ضمنية الى ما عبدوه سابقا فذبحها في هذا الموضع هو مدلول على اقصاء أي ثائرة للعودة الى عبادة هذا الحيوان كما فعلوا سابقا.

الخاتمة

كانت المحاورة بالذواكر المتعدده لأسلوب الشرط قد رسمت مجموعة من الصور التي كان همها الاساس هي العبرة وحسن التصرف فكل شيء فيه أثر من مدار سابق او غيب لاحق يتصف بالايمان بصدق الأمرين وحقق الاستفهام بوساطة شبكة الاسئلة المتعددة التي قد لا تطلب اجابتها من المتلقي بل هي عبارة عن طلبات لحوادث سابقة او لاحقة يطلب عن طريقها إعادة النظر وتحكيم الفعل فيما هو كان او يكون.

حقق الشرط بتلازمه المعرفي والتركيبي الغاية المستوحاة منه فهو من الأساليب الجامعة للسياق المكونة له والمحققة للترابط فيه، فضلاً عن أثره الكبير في تحقيق الاتساع الدلالي لمفردات ضمن السياقات اللغوية التي ترد فيها.

وكانت للبنية المعرفية للاستفهام وبحثه الدؤوب عن إجابات قد لا تكون متطلبة من لدن الباث، الامر الذي يخرجه كثيراً من دائرة التقرير ويدخله ضمن بوتقة الابداع والتحول من ركب الحقيقة الى مدارات المجاز.

الهوامش:

1- العين: الخليل بن احمد الفراهيدي، مادة ذكر.

2- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، مادة ذكر.

3- تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، مادة ذكر.
4-علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق: عدنان يوسف العتوم، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، ص 129.
5-الموسوعة الفلسفية: وضع لجنة من العلماء والاكاديميين السوفاتيين، بإشراف م. روزنتال، ب. يودين، تر: سمير كرم، دار الطليعة، ط 3، بيروت، 1981م، ص 220.
6 – العباب الزاخر واللباب الفاخر: رضي الدين الحسن بن محمد العدوي الصغاني، مادة شرط.
7 – مقاييس اللغة: احمد ابن فارس. مادة شرط.
8 – الكليات: ابو البقاء الكفوي، ج3، ص 65.
9 – التوقيف على مهمات التعاريف، ص203.
10 – محيط المحيط، بطرس البستاني، مادة شرط.
11 – اعلام الموقعين، ابن القيم، ج3،
12- جامع البيان فى تفسير القرآن ج21 28 [سورة الروم(30): آية 33]..... ص: 28
13- نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور ج5 625 [سورة الروم(30): آية 33]..... ص: 625
14 – التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج28، ص227.
15 – المصدر السابق، 230.
16- زبدة التفاسير ج7 63 [سورة الجمعة(62): الآيات 9 الى 11]..... ص: 58
17- تفسير الكشاف: جار الله الزمخشري، ج3، ص480
18- الميزان في تفسير القرآن ج10 34 (بيان)..... ص: 26
19- التفسير الكاشف، ج4، 146،المعنى:ص: 146
20- التفسير الكبير: الفخر الرازي، ج22، ص10.
21- التفسير الكبير ج22 10 [سورة طه(20): الآيات 1 الى 8]..... ص: 5
22 – تفسير القرطبي: شمس الدين القرطبي، ج5 ص253-254.
23- المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، ج2، ص95.
24- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد احمد الهاشمي ص 89
25- جامع البيان فى تفسير القرآن ج3 29 [سورة البقرة(2): آية 259]..... ص: 19
26- مجمع البيان في تفسير القرآن ج4 653 المعنى..... ص: 652
27 – تفسير الكشاف: جار الله الزمخشري، ج 2، ص107.
28- التفسير الكبير: الفخر الرازي، ج14، ص 254.
29 – تفسير القرطبي: شمس الدين القرطبي، ج6، ص142.
30- التفسير الكبير ج11 342 في قوله تعالى فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه..... ص: 341
31 – معالم التنزيل في تفسير القرآن: الحسين بن مسعود البغوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ. ج2، ص 119.
32- التبيان في تفسير القرآن ج4 113 قوله تعالى:[سورة الأنعام(6): الآيات 29 الى 30]..... ص: 112
33 – التفسير الكبير: الفخر الرازي، ج21، ص 530.
34- لطائف الإشاراتج2 426 [سورة مريم(19): آية 29]..... ص: 426
35- رحمة من الرحمن فى تفسير و اشارات القرآن ج3 47 [سورة مريم(19): آية 29]..... ص: 47

36 – البحر المحيط في التفسير: ابو حيان الاندلسي، ج1، ص 408.

37 – المصدر السابق: ج1، ص 406.

38– الميزان في تفسير القرآن ج1 202 (بيان)..... ص: 198

المصادر والمراجع

اعلام الموقعين، ابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.

1. البحر المحيط في التفسير: ابو حيان الاندلسي، المحقق صدقي محمد جميل دار الفكر بيروت الطبعه الرابعه 1420 هاء
2. التبيان في تفسير القرآن: ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي تحقيق تحقيق وتصحيح. احمد حبيب قصير العاملي، دار احياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
3. التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر. تونس، 1984م.
4. التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، القاهرة، 1990م، ط1.
5. الجامع لاحكام القران: شمس الدين القرطبي، تحقيق: احمد البردوني وابراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1964م، ط3.
6. العباب الزاخر واللباب الفاخر: رضي الدين الحسن بن محمد العدوي الصغاني، منشورات الدار العربية للموسوعات، 2011م، ط 3.
7. العين: الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت د.ت.
8. الكليات: ابو البقاء الكفوي، تحقيق عدنان درويش، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.
9. المنهاج الواضح للبلاغة: حامد عوني، المكتبة الازهرية للتراث، القاهرة، د.ت. ط2.
10. الموسوعة الفلسفية: وضع لجنة من العلماء والاكاديميين السوفاتيين، بإشراف م. روزنتال، ب. يودين، تر: سمير كرم، دار الطليعة، ط 3، بيروت، 1981م.
11. الميزان في تفسير القرآن: محمد حسين الطباطبائي، دار الاميرة النشر والتوزيع، د.مك، 1421هـ.
12. تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م.
13. جامع البيان فى تفسير القرآن. محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، 1990م.
14. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: السيد احمد الهاشمي، ضبط وتدقيق: يوسف الصعيدي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.
15. حقول علم النفس الفيزيولوجي: أعلامه –أبحاثه: محمد زيغور، دار الفكر العربي، بيروت/ لبنان، د.ت.

16. رحمة من الرحمن فى تفسير و اشارات القرآن من كلام الشيخ الاكبر محي الدين ابن عربي جمع وتاليف محمود الغراب
17. زبدة التفاسير: محمد سليمان الاشقر.، دار النفائس، عمان، 2022م، طبعة منقحة ومزيدة.
18. علم النفس المعرفي النظرية والتطبيق: عدنان يوسف العتوم، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2.
19. علم النفس المعرفي: انور الشرقاط، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، القاهرة، 2003م.
20. علم النفس المعرفي: رافع النصير الزغول، عماد عبد الرحيم الزغول، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان/الاردن، ط1.
21. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل: جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: مصطفى حسين احمد، دار الريان للتراث، القاهرة، 1977م، ط3.
22. لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: ابراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.
23. مجمع البيان في تفسير القرآن الفضل بن الحسن الطبرسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
24. محيط المحيط، بطرس البستاني، منشورات مكتبة لبنان، 2011م، ط4.
25. مفاتيح الغيب/ التفسير الكبير: ابو عبد الله محمد بن عمر بن حسن التيمي الرازي، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ. ط3.
26. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1979م.
27. معالم التنزيل في تفسير القرآن: الحسين بن مسعود البغوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ.
28. نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور، ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن ابي بكر البقاعي، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت.